قال قد نعاني هذا الشاب الى نفسي فقلما نشأ ذو صناعة ومهر فيها الاّ وكان دليلاً على موت الشيخ من ابناء جنسه. ودخل مرة الى حلب وهو رقيق الحال لايقدر على شيء فكتب الى ابن حيوس المذكور يستمنحه شيئاً من بره بهذين البيتين.

لم يبقَ عندي ما يباع بحبة وكفاك علماً منظري عن مخبري
الاّ بقية ماء وجه صنتها عن ان تباع واين اين المشتري

وكانت ولادته سنة ٤٥٠ بدمشق (= ١٠٥٨ م) وتوفي بها في حادي عشر شهر رمضان سنة ٥١٧ (= ١١٢٣ م) وبهذا كفاية لمن يريد ان يعرف قدر هذا الديوان الذي لم يطبع بعد. وقد اصبحت نسخه الصحيحة كهذه اعزّ من بيض الانوق، او ابلق العقوق.

(نقد كتاب تاريخ آداب اللغة العربية)

(٣ اغلاط التعبير)

جرجي افندي زيدان من الكتاب المعروفين بسلاسة الانشاء وحسن سبك العبارة حتى انك لتقرأ كتبه من الاول الى الآخر ولا يحدث في صدرك ما يحدثه فيه حملة الاقلام في كتاباتهم فانك اذا قرأت

صفحة او صفحات من نفثات يراعتهم حرج صدرك وضاق نفسك وحارت عيناك ونشأ فيك نوع من السأم يدفعك الى الثؤباء والمطواء يعتريهما ضرب من الونآء والفتور والرخوة الى درجة يسقط فيها الكتاب من يديك ولا تشعر بافلاته منهما . وانك لتشعر بالعكس عند تصفح مصنفات كاتبنا البارع ومهما اختلفت مواضيعها وطالت ابحاثها .

على ان هذا القول لا ينفي عن المؤرخ البارع كل شائبة . فلقد رأينا في مؤلفه بعض الشبهات ولعلها من سوء فهمنا اياها لا من وجودها حقيقةً فيها بيدانا نذكرها على ما هي ونسوق لها ما يعن لنا انها اجدر بالمقام للمقابلة بين التعبيرين وللاخذ باحد الوجهين . فمن ذلك ما جاء في ص ٢٠٧ اذ قال اعتنق الاسلام وفي ص ٢١١ واعتنقها (اي النصرانية) اليونان وقد كثر هذا التعبير في مطبوعات هذا العصر منقولاً عن تعبير الافرنج وله وجه في المجاز لا تأباه العربية الاَّ ان فصحاء كتاب العرب الذين يرمون الى البلاغة يعدلون عن هذا القول ويتحرون نحواً عربياً صرفاً فيقولون مثلاً دان بالاسلام او دان دين الاسلام كما ورد في الاغاني (٢ : ١٨) اذ قال ودان دين المسيح .

وقال في ص ٢١٦ كانت المدينة قد اصبحت مرسحاً للهو. وهذا ايضاً من التعبير الدخيل وهو قبيح لان العرب لم تعرف لفظة المرسح لا بالمعنى الحديث ولا بمعنى لغوي يحرر هذا الاستعمال او يحتمه. والاصح ان يقال هنا « ميداناً للهو » فان العرب عرفت الميدان وهو يوافق هذا التعبير هنا. واذا اراد الكاتب مقابلاً فصيحاً لكلمة مرسح فالافصح المسرح لان العين تسرح في جوانبه وفي الاشخاص والزينة التي ترى فيه. قال الحريري في المقامة الصنعانية: وارود في مسارح لحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي. وفسروها بالمواضع التي يسرح اي ينطلق النظر فيها. وهو هو المراد هنا. الا ان احد الكتاب انكرها في المقتطف فلا يحق له هذا الانكار ووجه التسمية واضح لكل ذي عينين.

وقوله في ص ٢٢٣ الامور الهامة. والمهمة افصح. ومثلها في ص ٥٢

وقوله في ص ٢٢٤ وهكذا العرب فقد نظموا والافصح وهكذا العرب نظموا.

وجاء في ص ٢٢٨ احراف الاخرى الالسنة والمسموع حروف او احرف لجمع حرف

وورد في ص ٢٣٠ ... فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب لهم الامر ونزعوا الى الجهاد ، تدرجوا في وضع التاريخ . والاوفق ان يقال هنا ونزعوا عن الجهاد لان النزوع الى الشيء الميل اليه او الذهاب اليه . والمراد هنا الانتهاء او الانقطاع عنها كما هو سياق العبارة ومقتضى المعنى .

ومن هذا الباب ما جاء في ص ٢٣١ « فمعاوية بن ابي سفيان كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة ... فلقوله يجلس لاصحاب الاخبار وجه مقبول لكن لو قال يجلس مع اصحاب الاخبار او يجالس اصحاب الاخبار لكانت العبارة اتقن واوفى بالمراد

ومن هذا القبيل قوله في ص ٢٣٧ « وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحساسة مثلهم » ولا نعلم ما بالمراد بالحساسة هنا . فلعلها الحس او الشعور او دقتهما وعلى كل فليست الكلمة فصيحة الا اذا كانت مضمومة الاول بمعنى مفرد الحساس وهو غير المطلوب هنا

ومما يدخل تحت هذا الباب قوله ص ٢٥٠ « فكان اكثر الشعراء في هذا الدور املعلى الحياد خوفا من معارة او ... » والاصح ان يقال

اما على . . . واما . . باعادة امالان الاولى ذكرت متأخرة فيجب ان تعاد « اما » في الثانية وتعاد متقدمة كما هو مثبت في كتب القوم ثم ان الناس قد افاضوا في استعمال الحياد بمعنى تجنب التحزب او عدم الميل الى اهل الحزبين الخصمين والمالوف عند العرب بهذا المعنى الاعتزال وان كان للحياد وجه فصيح لا غبار عليه الآن اتباع المالوف المطرد خير من اتباع غير المالوف القليل الورود في كلامهم .

وجاء في تلك الصفحة دعا الى ابن الزبير وخالف على مروان « والاظهر خالف في مروان . وفيها ايضاً . . . ولذلك فلما علم بقصيدة الاخطل . والافصح : ولذلك لما . . . ومثلها في ص ١٠٢ و ١٨١

وربما جاءت بعض الالفاظ في غير موطنها من وضع معناها كما جاءت « ناهيك بـ . . . » بمعنى « فضلا عن » وقد وردت مراراً عديدة في الكتاب منها في ص ٤١ ، ٤٨ ، ٦٦ ، ١٧٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ الى غيرها .

وذكر في ص ١٣٦ ما هذا نصه وكان (امية بن ابي الصلت) يسمي الله في بعض اشعاره « السلطيط » وفي بعضها « الغرور » فربما اقتبسهما

من الحبشية او صاغهما على صيغ تلك اللغة . اه : = قلنا : التغرور ارمنية الاصل تصحيف تفغور او تكفور ومعناها الملك او الامير . وجعل الرآء فاءً لغة عندهم قديمة فيقولون الصريرا و الصريف . وردم الباب والثلمة : سده كله او ثلثه او الردم اكثر من السد . وفدم فم الابريق غطاه ووضع الفدام عليه .

وقال في ص ٥٨ المودعة عنده . والافصح المودعة اياه . لانه يقال اودعه شيئاً .

وجاء في ص ١١٤ نظم معلقته على مرتين . وهو من تعبير عوام الشام ومصر والافصح مرتين بحذف « على »

وذكر في ص ١٧٤ في الاشهر الحرام . والاصح في الاشهر الحرم

وعدّ في ص ١٨٦ ايام الاسبوع عند العرب في عهد الجاهلية فقال اول اهون جبار والاصح « اوهد » كما ذكره اغلب اللغويين . نعم انه جاء في بعض النسخ « اول » لكن هذا من تصحيف النساخ او من تصحيف الجهلاء تلك الايام .

ووردفي ص ٩٣ اوالتهويل على عدوهم . والاصح : تهويل عدوهم

وفسر العسب في ص ٢٠١ بما حرفه : قحوف جريد النخل ولا نعلم معنى القحوف هنا انما العسب جمع عسيب والعسيب السعفة مما لا ينبت عليه الخوص

وقال في ص ٩٤ ويسمونهم (اي يسمي اليونان الرواة) Rhapsodist والحال هذه اللفظة بهذه الكتابة ليست انكليزية واليونانية تكتب Rhapsôdos ومن هذا الباب كتابته للفظة Dram (ص ٥٧) بهذه الحروف المذكورة . فاذا كانت بهذا الوجه فهي لا انكليزية ولا فرنسوية ولا . . . ولا . . . والاصح ان تكتب Drama اذا اردنا كتابتها باللغة الانكليزية Drame بالفرنسوية . الخ

وجاء في ص ١١١ س ٢٢ : وقد آلى على نفسه في الجاهلية ان تهب صبا الا اطعم . » والمراد هنا : ان لا تهب صبا الا اطعم . »

هذا ما بدا لنا في اثناء المطالعة ونحن نحذر فيها تحذيراً ولعلنا في اغلب الاحيان من المخطئين لا من المصيبين وربك فوق كل علم عليم

(تاريخ وقائع الشهر في العراق وما جاوره)

١ ابن السعود والشيابين